سورة الرعد

obeikandl.com

# ﴿ سورة الرعد ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴿٢﴾ ﴾

وإننى لأعجب ممن ينكر وجود الله عز وجل، كيف إذا قرأ هذه الآية لا يؤمن بالله عز وجل وهو يرى السماء هذا السقف الكبير بغير عمد، كيف لا تقع على الأرض؟ وإن ابن آدم إذا صنع سقفاً صغيراً ــ مهما كان صغره ــ وجب عليه إمساكه بالأعمدة ، حتى لا يقع على من تحته.

واعلم أن الممسك الحقيقى هو الله سبحانه، تحدث الكون جهاراً عن ألوهيته ونطق بياناً عن إعجاز إمساكه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾.

وليس للمخترع أو الكيميائى فضل فى إمساك المواد بعضها ببعض، ولا فى تفاعلها مع بعضها البعض، وظن هؤلاء أن الفضل لهم فى إخراج الناتج الجديد من تفاعل المواد، وفى تماسك هذا الناتج، وسر هذا من حيث علم الحقائق أنه سبحانه عند النفخ فى الصور تنهار قوى العالم بأسره، وتتفكك ذرات الوجود، فيتخلى عنها سر القبض يقول سبحانه واصفاً تفككك ذرات السماء: ﴿ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾.

ويقول أيضاً عن سر ذوبانها وتفككك ذراتها: ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾.

ويقول عن سقوط الشمس وانمحاء قانون إمساكها وقبضها:

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، كورت: أى سقطت، ويقول سبحانه عن تواهى

الجبال وتلاشى بنيتهـا: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾، أى كالصوف المنفوش .

ثم يقول عن نسف ذرات الوجـود المتماسـكة وإرجاعهـا إلـى ذرات متفككة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾.

ومن هنا تحقق الأكابر من محققى العارفين أنه سبحانه هو القابض والباسط، يرون هذا تجلياً عملياً فيهم فى عالم الكشف الكبير.

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ۝٤ ﴾

القطع المتجاورات أنواع الطينة هى الآدميـة القديمـة الأصـلية المتباينة فى الطينة فمنها :

ومنها طينة الكافر.

ومنها طينة المؤمن.

ومنها طينة الأنبياء.

إلى آخر الأنواع الإنسانية المتغايرة فى عالم النور والظلمات.

والجنات: هى طينة الأنبياء والصديقين والصالحين، ذلك لكـون الجنات تحوى النفائس بجميع أنواعها، وأما القطع المتجاورات فمنها القحل والجدب ومنها الخصب .

﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۝٤ ﴾

وهو ماء الفطرة الواحد المشار إليه فى الحديث الشريف بقوله ﷺ : (( **كل مولود يولود على الفطرة وأبواه يهودانـه أو ينـصرانه أو يمجسانه** )) .

﴿ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾

لاستحكام الظلمات على نفوسهم فلم ينتظروا منه سوى السيئة، وانغلقت نفوسهم لسماع الحسنات منه، وظنوا أنه مصدر للسيئات فقط.

ولهذا لما سُئِل أحد العارفين: كيف رأى أبو جهل النبى ﷺ ولم يؤمن به

فقال: لأنه رأى فيه يتيم أبى طالب.

فلم يره أنه قد تجاوز اليتم وأصبح رسولاً يهتدى الخلق به، بل ظلت صورة اليتم راسخة فى عقله .

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ ﴿٦﴾ ﴾

أى العبر الباطنية والتعقلات العرفانية والاعتبارات الربانية .

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

أى لك لسان الإنذار فقط ولنا سلطان الهداية .

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾

الأنثى متعدد الأحدية فى الصور التكاثرية المختلفة التى نشأت عن الواحد المفرد العلم وهو الله سبحانه .

وذلك لما أراد سبحانه أن يعرف، وعلم أن الخلق لن يعرفونه فى عماء الذات أنشأ الكثرة من الوحدة، فتنازلت الأحدية من عمائها إلى

الواحدية، ثم عرفه الخلق فى ألوهيته، وهى مقتضى مظاهر الأسماء والصفات وتعددها.

﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾

الأرحام هى مصدر القبض والبسط الإلهي، ولذلك جعل الحق سبحانه الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله، ولذلك كانت هى مصدر القطع والوصل، وكانت مصدر الإغاضة والزيادة.

والرحم الكبير هو الله، لكون الخلائق يتراحمون به فيما بينهم، ولأجل الله تراحم الخلق فيما بينهم، يقول ﷺ عن هذا السر:

(( ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء )).

اشتق الرحم من اسمه تعالى الرحمن لبقاء التواصل بين الخلائق بهذا السر، فيبقون كخيط العنكبوت فى التواصل والمواصلة والتشابك، ثم يكون الكون كله متصلاً بهذا سر.

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾

معين لا يخرج عن حده فيفسد، وإن رآه الراؤون على أنه ليس عين الكمال، إلا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان.

واعلم أن المعايير البشرية تعجز على أن تصل إلى حقيقة هذا المقدار ومغزى الحكمة منه، فقد تحكم عليه بعدم الكمال، وقد تحكم عليه بالنقص، إلا أنه فى عين الحكمة هو نهاية الكمال والإعجاز الإلهى، الذى تدق عنه أنظار الأنكياء وأفهام النبهاء.

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾

وهى ملائكة التعقيب على الأوامر الإلهية الفاتكة والمهلكة للأبدان، وهم الحفظة الذى أقامهم الحق لحفظ مواد الأبدان الطينية فى الأرض.

وهؤلاء الملائكة لهم تعقيب، أى رجوع ومراجعة لأوامر الحق على هذه الأبدان ومدى حكم هذه الأوامر فى المخلوقات، فإن كانت قطعية أمضوها وتخلوا عن الحفظ، وإن كانت فيها مراجعة ونقض تنقض هذه الأوامر لتحفظ مادة الأجسام.

يقول سبحانه: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾.

والموت من الأمور القطعية التى لا يكون فيها تعقيب على حكم الله فى الأجسام.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾

هذا إشحاذ للهم العالية والنفوس المترقية القوية، كى لا تتكل على الله فى تغيير نفوسها، فطالبها الحق أن يتم تغييرها لنقائصها بيد همتها الأبية، فتتصدى لسلطان القهر الإلهي، فتقاوم القهر بالقهر، حتى يظهر مدى صدقها ونفاسة جوهرها، حتى لا يصيبها الخلل بالتواكل وإلجاء الأمر إلى الله، فتبطأ الهم وتضعف العزائم عند المجاهدين والقائمين بحقوق الجهاد الأكبر.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٢﴾ ﴾

وهو لوائح وبوارق أهل البدايات وهى مبادئ الكشف، والتى يرونها خوفاً وطمعاً، لعدم تمكنهم بعد، وعدم معرفتهم بما وراءها وبما تحمله.

﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾

السحاب الثقال هى الحقائق المروية لكمل العارفين، والتى تصف الديار وصفاً دقيقاً ، وتزيل الحجب المغشية للبصائر، وتأتى بالخبر اليقين قبل أن يرتد إلى العارف طرفه .

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

الزبد هو لغة الزيف الباطنية وانقضاء الحقائق المعنوية المفيدة، وهو ما خرج من أوساخ الجوهر المصفى المفيد الباقى الذى لا يزول، فيطفو فوقه الزبد، ولا يمسك بأى وجه من الوجوه، بل يتبخر بمجرد المس، وقد ضرب الله به مثلاً فى الباطل وزواله .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

هؤلاء أقل منزلة ممن تطمئن قلوبهم بالله نفسه فمن شغله الذكر عن المذكور فهو فى حجاب .

﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾

واعلم أيدك الله أن أم الكتاب هو العلم الكلى وهو أعلى منزلة من اللوح المحفوظ الذى فيه أقدار الخلائق، فاللوح المحفوظ هو العلم الجزئى لا الكلي، ولا يحدث محوو إثبات فى اللوح إلا إذا كان مثبتاً

فى أم الكتاب، ولذلك ذكره بعد المحوو الإثبات بقوله وعنده أم الكتاب لكونه إليه المرجع فى المحو والإثبات .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

الأرض هى طينة العارف وبدنه والتى هى أصل خلقها من الأرض .

ولما كان الجسد الطينى الأرضى هو منبع الشهوات والمثقلات والتى تجهد الروح فى ترقيه إلى معارج القدس، فإن الحق سبحانه أنقصه من أطرافه بسلطان مجاهدة السالك لنفسه، فلا يظل العارف تتناقص أرضه ــ أعنى كثافة بدنه ــ وتعلو روحه على نسبة البدن، حتى يكون روحاًمحضاًصرفاً، لا تحكمه شهوات البدن ولا مثقلاتها الكثيفة.